المحاضرة الأولى (أسس البحث الاجتماعي تصور جديد للبحث الاجتماعي)

تمهيد :

من المنطقي قبل الدخول في تفاصيل موضوعات تصميم البحث الاجتماعي والتعمق في فهم الاعتبارات المنهجية والضوابط التي يتطلبها وضع التصميم المناسب مع كل موضوع يختار للبحث ، والسير في إجراءات تنفيذه، أن نمهد لذلك بالتعرف على مختلف المفهومات الأساسية التي يتردد استخدامها عند التعبير عن الأفكار المتعلقة بالبحث من حيث تصميمه وإجراءاته، وخطواته .ويرجع حرصنا على تخصيص فصل خاص نتناول فيه بالتوضيح والتحليل والفهم هذه المجموعة الأساسية من المفهومات إلي عدة اعتبارات، الاعتبار الأول هو أن هذا التمهيد ضروري حتى يتسنى لنا أن نتقدم في طريقنا صوب هدفنا، وهو الوقوف على كيفية وضع التصميم المنهجي المناسب للموضوع الذى نختاره للبحث الاجتماعي .

أما الاعتبار الثاني فمؤداه أننا إذا كنا في نطاق التعمق في مجال متخصص وهو البحث الاجتماعي ،فلا أقل أن نتسلح بالوسائل والأساليب التي تعيننا علي فهم الأفكار والإحاطة بالمعرفة المتوافرة في هذا المجال ،وتقف المفهومات في مقدمة هذه الوسائل والأساليب في تبادل الأفكار والتقاط مضمون الموضوعات المطروحة في هذا النطاق المتخصص .

ويشير الاعتبار الثالث إلي أهمية هذه المفهومات باعتبار بعضها وسائل تفيد في الوصول إلى المعرفة وتحقيق أهداف العمل العلمي والنظر إلي بعضها الآخر علي أنها أساليب للتعبير عن هذه المعرفة العلمية والأهداف التي تم التوصل إليها .ومن هنا قسمنا الفصل الحالي إلي جزئيين ؛ الجزء الأول يتعلق بمجموعة مفهومات البحث ، والتصميم والاستراتيجية والمنهج والطريقة والأداة ، والجزء الثاني ، يتناول مجموعة مفهومات المفهوم العلمي والفرض ، والنظرية باعتبار المجموعة الأولي هي وسائل الوصول إلي المعرفة العلمية والثانية هي أساليب للتعبير عنها . وركزت التحليل بوجه خاص على المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي والخصائص التي يتميز بها ، ثم تصميم واستراتيجية البحث الاجتماعي وأخيرا أهمية النظرية في البحث الاجتماعي .

أولاً : المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي

يكتفي البعض بتحديد المقصود بالبحث الاجتماعي من خلال الاقتصار علي المعني البسيط للبحث، والقول بأن عملية البحث تتم في أبسط صورها في حياتنا اليومية بأكثر من مظهر وشكل.، فعندما تصادفنا بعض المشكلات ونحاول الوصول إلى حلول لها بطريقة أو أخري ،فإننا في هذه الحالة نقوم بعملية لا تختلف في شكلها عن عملية البحث الاجتماعي، بحيث تزداد قدرتنا علي حل المشاكل اليومية كلما زادت وتعددت المواقف التي نجابهها وتتطلب البحث عن حل لها . ويعتبر البحث بهذا المعني البسيط بمثابة محاولة لحل مشكلة ،وبقدر زيادة المواقف المشكلة التي تحتاج إلي بحث تنمو قدرتنا علي إجراء البحث والتوصل إلي حلول سلمية ما أمكن ذلك.

ولكن عندما وجد البعض الآخر من المهتمين والمشتغلين بالبحث الاجتماعي أن هذا التعريف للبحث الاجتماعي يمتاز بأنه تعريف شكلي لا يمس مضمون البحث وجوهره، فكرو في تقديم تعريف آخر دقيق علي حد تعبيرهم ،ومن هنا تعددت محاولتهم للوصول إلي درجة معها يصعب الإحاطة بكل ما أسهموا به في هذا الصدد.

ومع هذا يمكن أن يساعدنا تصنيف هذه المحاولات والاستشهاد بأمثلة منها على التوصل إلي المقصود بالبحث الاجتماعي .فالملاحظ أن بعض هذه التعريفات كانت تهتم بتوضيح المقصود به من خلال التركيز علي أهدافه، بينما اهتم بعضها الآخر بالتركيز علي إجراءاته وانصراف بعضها الثالث نحو بيان المقصود به باعتباره سلوكا له خصائص مميزه. ومن هذه التعريفات الاتي :

- تعريف البحث الاجتماعي من خلال أهدافه:
- تعريف البحث الاجتماعي من خلال إجراءاته ومنهجه:
- تعريف البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا:

أ- تعريف البحث الاجتماعي من خلال أهدافه:

فقد يحدد البعض البحث الاجتماعي باختصار علي أنه مسئولية عملية تعتمد على طرق منسقه ومنطقية في تحقيق الأهداف التالية :

١- اكتشاف وقائع جديدة أو التحقق من وقائع قديمة.
٢- تحليل تتابع هذه الوقائع وعلاقاتها المتبادلة ،وتفسيراتها العلمية أو السببية والتي تم اشتقاقها من إطار مرجعي أنظري مناسب.
٣- تنمية أدوات علمية جديدة ومفاهيم ونظريات قد تعين في الدراسة الثابتة والصادقة للسلوك الإنساني.

وهكذا يتمثل الهدف الأول للبحث سواء البعيد أو المباشر في اكتشاف وتحقيق فهم السلوك الإنساني والحياة الاجتماعية، حتى تزيد قدرتنا على التحكم فيها. كما يحدد البعض الآخر البحث الاجتماعي باعتباره: عملية تقصي أو فحص دقيقة للوصول إلي حقائق أو قواعد عامة والتحقق منها. وكذلك، ينظر إليه علي أنه نشاط إنساني مقصود وموجه نحو غايات أو أهداف معينة سواء أكلن هذا النشاط يتم عن وعي أو قصد أو بدون وعي أو قصد.

ب - تعريف البحث الاجتماعي من خلال إجراءاته ومنهجه:

ويحدد البعض الثالث البحث الاجتماعي بأنه : عبارة عن منهج منسق لاكتشاف وتحليل وتصور الحياة الاجتماعية بهدف تطوير وتصحيح أو التحقق من المعرفة سواء أكانت هذه المعرفة تساعد في بناء نظرية أو في تطبيق أحد النتائج .

والبحث الاجتماعي في تعريف رابع عبارة عن وسيلة لغاية ما بمعني أنها تهدف إلي حل مشكلة - عملية أو منهجية .وهي تهدف إلي كشف العلاقات بين البيانات المتراكمة أو التحقق من صدقها ويمكن السير في هذه الخطوات فقط بواسطة المنهج العلمي بمعني التطبيق المنطقي والمنسق لأسس العلم علي التساؤلات العامة والشاملة للدراسة ،واستخدام الطرق العلمية التي تمدنا بالأدوات العلمية والإجراءات الخاصة و والوسائل الفنية التي تهدف إلى توفير البيانات وترتيبها قبل معالجتها منطقيا وإحصائيا.

ج -تعريف البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا:

ويحدد البعض الأخير البحث الاجتماعي باعتباره سلوكا مناسبا يتمسك بقيم معينة في علاقات الباحث بأخباريه وبمن يمدنه بالبيانات .ويحتاج الباحث بالإضافة إلي تدريبه وخبرته علي فنون العلم والبحث إلي أن يكون متميزا بالحساسية للعلاقات الإنسانية.

المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي :

ولكن لما كانت هذه التعريفات السابقة والتي تزعم الدقة تركز كل منها علي جانب دون آخر من جوانب البحث الاجتماعي ،فتوجه بعضها الأفكار نحو أهدافه، ويهتم بعضها بإجراءاته ومنهجه، وتنصرف غيرها نحو توضيح سلوكيات الباحث ومميزاته برزت الحاجة إلي تعمق تراث البحث الاجتماعي الحديث بحثا عن تعريف أكثر وضوحا وشمولا من تلك المحاولات السابقة

ولعل أول خطوة يجب أن نخطوها في سبيل الوصول إلي هذا الهدف ،أن نشير إلي تلك الانطباعات الخاطئة التي قد تعلق بذهن الطلاب أو المشتغلين بالبحث الاجتماعي وهي:

أ- قد يظن البعض أن عملية جمع عدد قليل من الوقائع والبيانات تم تسجليها كتابة في ورقة أو عرضها بطريقة موثقة تعتبر بمثابة بحثا. ولكن مثل هذا العمل بالطبع لا يزيد علي مجرد عملية الحصول على وقائع أو بيانات تم توصيلها للآخرين .

ب- كما قد يظن البعض الثاني خطأ أيضا عملية نقل المعلومات من المؤلفات أو المراجع ثم عرضها والإشارة إلى المصدر الذى نقل عنها في الهامش ، تعتبر من قبيل البحث ، ولكن هذا العمل لا يزيد في شيء عن مجرد نقل المعلومات.

ج- بل قد يظن فريق ثالث أنه يمكن أن نطلق على النتيجة النهائية لعملية نقل الحقائق وكتابتها في بعض الأوراق تقرير بحث . غير أنه ربما كان ذلك العمل يعد بمثابة تقريراً أو حتى وثيقة ولكنه ليس بحثا بالمرة .

ومراد هذه التصورات الخاطئة حول البحث راجع إلى أن أصحاب هذه التصورات لم يكابدوا مشقة التفكير في الحقائق التي قاموا بجمعها أو نقلها ، وإنما نظروا إلى هذه الحقائق باعتبارها أهدافاً في حد ذاتها ، والواقع ان عملية جمع الحقائق ما هي إلا أحد العناصر المكونة لعملية شاملة هدفها النهائي الكشف عن دلالة ومغزى هذه الوقائع من أجل اكتشاف الحقيقة .

إذ يسعي البحث الاجتماعي بعبارة أخري إلى تفسير الظواهر الاجتماعية التي لم يتم تفسيرها بعد ، إلى توضيح أو تجلية تلك المشكوك فيها ، وتصحيح الحقائق المتعلقة بالحياة الاجتماعية التي أسئ إدراكها أو فهمها.

كما أن لباحث لا ينظر إلى حقائقه باعتبارها ظواهر منفصلة أو منعزلة وإنما ينظر إليها علي أنها ترتبط ارتباطا وثيقا وتتشابك مع بعضها الآخر .وهذا ما عبر عنه كونCohen قائلا:

إن الحقائق لا يمكن أن تكون مفهومة أو واضحة إلا إذا ربطت بحقائق أخرى وأوضحت علي أنها جانب من نسق أكبر .وما نبه إليه أيضا بافلوف Pavlov قائلا لا تجمع الحقائق لمجرد جمعها ،وإنما حاول أن تتعمق سر حدوثها والعلاقات المتبادلة بينها ،ومثل هذا النوع من البحث لا يمكن إنجازه بدون منهج منسق وأسلوب متقن في العمل .

كما لا يعتقد الباحث في أن الحقائق والأرقام تتحدث عن نفسها وإنما هي أمور معقدة للغاية وغامضة ،وفي حاجة إلي تفسير وتحليل .

وهكذا ، فالبحث الاجتماعي أولا وقبل كل شيء طريقة في التفكير ، وأسلوب للنظر إلى الوقائع ، يصبح معه معني المعطيات التي تم جمعها واضحا في ذهن الباحث . كما أنه أسلوب يحل به الأفراد المشكلات الصعبة فمحاولتهم تجاوز حدود الجهل الإنساني . وهذا الأسلوب يتميز بعدد من الخصائص ، ويحتاج الوقوف عليه تناولها بالتفصيل علي النحو التالي :

<u>ثانيا :خصائص عملية البحث الاجتماعي :</u>

١- يبدأ البحث بسؤال في ذهن الباحث
٢- البحث يتطلب خطة
٣- يحتاج البحث إلي عرض مشكلته في تعبير واضح
٤- يعالج البحث المشكلة الرئيسية من خلال مجموعة مشكلات فرعية
٥- يتلمس البحث وجهته مستعينا بفروض مناسبة
٦- البحث يتناول وقائع ويوضح معانيها
٧- البحث عملية دائرية

للبحث عدة خصائص منفصلة أو متميزة ، تظهر تباعا بحيث قد تبدو في نظر الباحث علي أنها عدد من الخطوات ، يجب أن نكون علي دراية تامة بها ،وأن نأخذ بها جميعا لنقف علي المدخل الخاص في اكتشاف الحقيقة والذي نطلق عليه اسم البحث الاجتماعي.

١ـ يبدأ البحث بسؤال في ذهن الباحث:

فالإنسان حيوان محب للاستطلاع . وهو ينظر أينما يوجد إلي الظواهر التي تثير حبه للاستطلاع، والتي تثير لديه الدهشة والتأمل وتجعله يطرح التساؤلات المناسبة فإنه يستطيع أن يخلق المناخ المواتي ،ويكون الاستجابة المعرفية للوقائع الهامة التي تعد بمثابة مطلبا أساسيا للبحث ذاته، لأن البحث بنشاء عن سؤال طرح بطريقه ذكية في وجود ظاهرة ما قد لاحظها الباحث ووجد أنها تثير في نفسه الحيرة. ويجد الباحث من خلال طرحه للأسئلة المناسبة ما يعينه علي تحديد وجهته في مطلبه من أجل الحقيقة.

فانظر حولك حيث المواقف المشكلة والمحيرة التي تضطرك إلي وضع الأسئلة مثل :كيف ؟وما هو سبب ذلك ؟.وما الذي يعنيه كل ذلك ؟.هذا مثلا. نجد موقفنا من مواقف الحياة الواقعية المألوفة ،فيه بدأ طفلان من نفس الحي دراستهما والتحقنا بنفس الفصل الدراسي ،وأخذا يلتقيان دروسهما علي نفس المدرس. أحدهما تعلم كيف يقرأ وتقدم بسرعة ،والآخر وجد صعوبة كبري في القراءة...فلماذا؟ ما الذي نعرفه حقا حول التعلم الإنساني وعملية القراءة ؟وما الذي لا نعرفه حول التعلم الإنساني ؟.وما هو أصل العجز القراءة في المراحل المبكرة من الدراسة ؟.هذه أمثلة على التساؤلات التي تكشف حاجة الإنسان إلى المعرفة. وهي أيضا تساؤلات تشير إلي نقطة الانطلاق في البحث ،والتي من خلالها يمكن أن تكتشف الإجابات في ضوء الوقائع .وهكذا، يبدأ البحث ،بعقل متسائل وتواق إلي المعرفة في وجود وقائع محيرة ومشكلة.

٢ـ البحث يتطلب خطة:

ليس البحث بمثابة أمل ساذج في أنك ستكشف علي نحو ما وبطريقة معينة الوقائع التي تحتاجها أو الحقيقة التي تسعي وراءها. وهو ليس نشاطا لا هدف من ورائه أو غير موجه ،كما ليس مجرد النظر إلي شيء ما بأمل التوصل إلى حل لمشكلتك ،وإنما يتطلب البحث أكثر من ذلك ،ونعني أنه يحتاج إلي خطة محددة وتصميم وتوجيه.

ويجب أن تسير عملية البحث برمتها في اتجاه هدف محدد ابتداء من الشعور بالحاجة إلى المعرفة حتي النقطة التي تتحدث فيها الوقائع ذات الصلة إلي الباحث ،وتمده بإجابة. وبين هذين الطرفين يجب أن تكون هناك قضية واضحة تعبر عن مشكلة البحث ،وتطوير للفروض، وتصميم لجمع وتفسير الوقائع ،وفي النهاية اختبار للفروض، والتوصل إلى النتائج المستندة إلى الوقائع .وهكذا ، فإن البحث يعد إجراءً منظما ومخططا ومنطقيا في تصميمه.

٣ـ يحتاج البحث إلي عرض مشكلته في تعبير واضح :

يبدأ البحث الناجح بعبارة واضحة وبسيطة تعبر عن مشكلته. ويجب بلورة التساؤلات المحيرة والتي لم يجب عنها ويجد الباحث أنها أساسية لموقف البحث منذ بداية العمل في البحث في قضية تامة ودقيقة من ناحية القواعد اللغوية لتحدد مقدما وبوضوح ما الذى يسعى الباحث إلي اكتشافه .والسبب في ذلك واضح ،إذ قبل أن نبدأ يجب أن نفهم المشكلة وننظر إليها بطريقة موضوعية، كما يجب أن ندرك بوضوح ما الذي نحاول بحثه ـوسوف نتحدث أكثر عن مشكلة البحث في فصل لاحق ،ولكن ضرورة التعبير عن المشكلة المحددة في قضية دقيقة يهدف البحث إلي حلها يجب ألا نقلل من أهمية التأكيد عليها.

٤ ـ يعالج البحث المشكلة الرئيسية من خلال مجموعة مشكلات فرعية:

تنطوي معظم المشكلات التي يمكن إجراء بحوث حولها علي مجالات مشكلة أخري متباينة أقل أهمية وتأثيرا. ونتيجة لأن الكثير من الباحثين لا يأخذون الوقت الكافي ولا المخاطرة في عزل المشكلات الفرعية في إطار المشكلة الرئيسية ،يصبح تحديدهم لمشروع بحثهم مرهقا، وغير علمي، وصعب التناول لضخامته. ولذلك، كان من المناسب عمليا أن نقسم هذه المشكلة الأساسية إلى مشكلات فرعية مناسبة ،بحيث أنه عند حل كل واحد منها فإنه سوف يترتب على ذلك حل مشكلة البحث الأساسية.

ولتوضح ذلك نسوق المثال :لقد أصبح للجامعة نظاما تعليميا متغيرا ونام علي نحو سريع خلال ثلاثة الأرباع الماضية من هذا القرن.

وكان ينظر إليها في الأصل علي أنها مدرسة عليا تهتم بالعلوم الاجتماعية، ولكنها غيرت اهتمامها وما تركز عليه خلال هذه السنوات .والآن أصبح لهذه الجامعة نظاما تعليميا مغايرا تماما لما كان يتصوره لها الآباء المؤسسون. ويستند هذا النظام التعليمي إلي فلسفة واهتمام رئيسي وجوهري للوسط التعليمي الذي وجدت فيه .لقد أراد احد الطلاب التعرف علي الفلسفة التعليمية الأساسية للجامعة المذكورة وهو هذا يعبر عما يريده صراحة ،ومن المسائل المعروفة ضمنا أن التاريخ يؤثر في بناء وسياسات الجامعة والطريقة التي تعمل بها .وأكثر من ذلك ،كانت النتائج المتراكمة عن أحداث الماضي هي المسئولية عن التغير الجوهري في اتجاه الجامعة .

وإن كانت القضية المحورية في هذا البحث قد بدأت في الظهور بالنظر إليها من هذا المنظور الشامل إلا أنه يمكن لنا أن نعيد صياغة الموضوعات مرة ثانية ونعالج المشكلة الرئيسية المتعلقة بالفلسفة التعليمية لهذه الجامعة علي نحو أكثر فعالية من خلال النظر أولا إلي بعض الجوانب الأقل أو المشكلات الفرعية في إطار هذه المشكلة الرئيسية :

١- ما الفلسفة التعليمية الأصلية التي أخذ بها المؤسسون والإدارة المبكرة للجامعة؟
٢- ما الأحداث الرئيسية التي كانت سببا في تغير تلك الفلسفة ؟
٣- ما الفلسفة التعليمية الحالية للجامعة؟

وسوف تمدنا هذه المشكلات الثلاث الفرعية والتي يجاب عليها في ضوء المعطيات المستخلصة من الوثائق ومنشورات وكتابات الجامعة وغيرها من المصادر المماثلة بالإجابة علي المشكلة الرئيسية للبحث.

٥-يتلمس البحث وجهته مستعينا بفروض مناسبة:

وبعد تحيد المشكلة والمشكلات الفرعية المرتبطة بها ،يعتبر عن كل واحد من المشكلات الفرعية في صورة أبنية فرضية منطقية تعرف باسم الفروض HYPOTHESIS .فالفروض عبارة عن قضية منطقية أو تخمين معقول ،أو هو علاقة مدروسة قد توجه أو تحدد وجهة الفكر فيما يتعلق بالمشكلة ،الأمر الذى يساعدنا في حلها .

وتعد الفروض بمثابة جانبا من خبرتنا في الحياة اليومية تلك التي نستعين بها في معالجة مشكلات الحياة اليومية .وهي تمثل النشاط الطبيعي لعقلنا البشري .إن شيئا ما يحدث فنحاول في الحال تفسير سبب حدوث هذا الشيء بواسطة سلسة من التخمينات، والافتراضات أو الاستنتاجات المنطقية .ونحن عندما نفعل ذلك فإننا نقوم بعملية وضع فرض ،فمثلا ،إذا قمت بإدارة مفتاح سيارتك ،وأضاءت السيارة دون أن يعمل موتورها .هنا أنت تواجه مشكلة تحتاج لبحث .ما الخطأ الذى حدث ؟لماذا لم تتحرك السيارة ؟فأنت تبدأ الآن سلسة من التخمينات المعقولة لتحديد سبب هذه المشكلة .

<u>وبعبارة أخرى ،قد تفترض الاحتمالات العديدة التالية:</u>

١- ليس هناك بنزين في الخزان.
٢- شمعات الاشتعال قد عطلت.
٣- ترسب شوائب في موزع الكهرباء تسببت في هذا العطل .

وكل واحد من هذه الافتراضات يوجهنا في البحث عن الوقائع التي تحدد السبب الحقيقي لماذا لم يعمل موتور السيارة. عند هذه النقطة نبدأ في جمع الوقائع ،فقد نقوم بمراجعة وعاء البنزين ونجده ممتلأ حتي منتصفه في هذه الحالة لا يصح الفرض الأول .ولما كان الموتور قد أعيدت صيانته وتم تركيب شمعات احتراق جديدة ، فهذا معناه أن الفرض الثاني ليس له أساس من الصحة .عندئذ قد تنظر من شباك السيارة ،وتلاحظ أن السيارات الأخرى قد أزيل من فوقها آثار الرطوبة وضباب الصبح الباكر .هنا قد يؤدي بنا الفرض الثالث إلي حل مشكلة توقف السيارة .ولا اختبار هذا الفرض أرفع غطاء الموزع وقم بتنظيف ما ترسب داخله ثم ارجع مرة ثانية .هنا تبدأ السيارة في الحرك، وهذا ما يؤيد الفرض الثالث. وبالمثل عندما تواجهك مشكلة للبحث ضع تخمينات مدروسة تساعدك في اكتشاف الحل وإعطائك الوجهة التي تسير فيها بحثا عن الوقائع

٦ـ البحث يتناول وقائع ويوضح معانيها:

وبعد عزل المشكلة وتقسيمها إلى مشكلات فرعية مناسبة ،ووضع الفروض التي سوف تشير إلى الوجهة التي قد نجد فيها الوقائع ،فإن الخطوة التالية هي جمع الوقائع التي تبدو أن لها صلة بالمشكلة ثم تنظيمها في مجموعات ذات معني تمكن من تفسيرها.

وسوف نناقش طرق مثل هذا التنظيم في الفصل قبل الأخير .فالوقائع ،والأحداث والملاحظات هي في حد ذاتها مجرد وقائع وأحداث وملاحظات ولا تزيد على ذلك شيئا. إلا أنها تنطوي علي معان ممكنة، وتعتمد دلالة هذه المعطيات بشكل متكرر على الطريقة التي تنظر بها إلي الوقائع وعلي الأسلوب الذي تؤخذ به المعطيات في الاعتبار .وغالبا ما يستخلص الباحثون المختلفون معان مغايرة تماما من نفس مجموعة المعطيات ،لأنه ليس هناك قاعدة واحدة توجهنا نحو التفسير الصحيح .

فقد يدرس باحثان من علماء التاريخ نفس السلسة من الأحداث ،وقد يكونا علي درجة مساوية من الكفاية والأمانة في استجاباتهم. ولكن احدهم قد يستخلص من وقائع التاريخ متبعا نفس الأسلوب معان مغايرة تماما لما قد يصل الأخير إليه من تفسيرات فإيهما أصوب ؟ربما كان هما الاثنان ،أو ربما لم يكن واحد منهما علي صواب .

٧ـ البحث عملية دائرية:

تبدأ دائرة البحث بعقل ممتلئ بالتساؤل يواجه موقفا محيرا أو مشكلا .ولكي يرى الباحث هدفه بوضوح يقوم بعزل المشكلة المحورية ،قد يقسم بعد ذلك المشكلة المحورية إلى مشكلات فرعية التي تمثل كل واحدة جزاء متكاملا في الكل الأكبر وبحيث تكون في مجموعها مشكلة البحث الأساسية.

وما أطلقت عليه اسم البيئة التي يظهر عنها المشكلة التي يمكن أن نطلق عليها اسما أكثر مناسبة هو عالم البحث research universeوهو العالم الذي يحتمل أن يمدنا بالوقائع أكثر من غيره. وينقب الباحث داخل هذا العالم عن تلك الوقائع الخاصة التي تبدو أنها وثيقة الصلة بحل المشكلة والمشكلات الفرعية لها. ويعمل بناء الفروض التجريبية tentative علي تسهيل بحثه ،لأنها تشير إلي الوجهة التي يجد فيها الباحث الوقائع المناسبة .ثم يقوم بتنظيم الوقائع .ويساعد هذا الاكتشاف بدوره علي حل المشكلة .ويجيب هذا الحل عندئذ علي السؤال الذي أدي إلى قيام البحث في الأصل. وهكذا فإن الدائرة تكتمل وتلك هي الصيغة التي تميز كل البحوث الأساسية.

ويمكن التعبير عن البحث بالشكل التالي .وقد تنظر إلى هذا الشكل علي أنه حلزوني helixأكثر منه دائري. لأنه في العملية الحلزونية لحل المشكلات سنظل نطرح مشكلات أكثر ،ونتيجة ذلك يستمر البحث في السير قدما إلي الأمام. وبالنظر إلى البحث بهذه الطريقة نجده يمتاز بخاصية دينامية، بعكس النظرة القديمة والشائعة للبحث باعتباره عملية استاتيكية .

ثالثاً : تصميم واستراتيجية البحث الاجتماعى

يشير المعنى الحديث للبحث الاجتماعي وخصائصه علي النحو الذي أوضحناه سلفا، إلي أن البحث يحتاج إلي خطة وإجراء منظم ومخطط، هذا فضلا عن مفهومات يستعين بها في التعبير عن مشكلته بوضوح ،وفروض يتلمس بها وجهته فيجمع وقائع تحتاج في النهاية إلي تفسير استنادا إلي نظريه واضحة. الأمر الذي يتطلب قبل التعمق في البحث الاجتماعي من هذه النواحي إلقاء الضوء علي المقصود بتصميم البحث واستراتيجية البحث الاجتماعي أولا وذلك للاعتبارات التي أشرنا إليها من قبل .

١- تصميم البحث

لاشك أن الاعتماد علي المثال في توضيح المقصود بتصميم البحث يفيد أكثر من أي شيء آخر في هذا الصدد .ومثالنا الذي نعتمد عليه في ذلك ،نأخذه عن ميدان معروف لنا جميعا وهو ميدان العمارة ،إذ يذكر كل منا أنه كانت هناك رغبة لإقامة بناء معماري . وليكن مسجدا أو مستشفى أو حتى عمارة سكنية ،فإن أول شيء يكون مطلوبا لإقامة هذا البناء، هو توقير التصميم الذي يمكن علي أساسه إخراج هذا البناء إلى حيز الوجود.

وعادة ما يقوم المهندس المعماري بوضع التصميم المناسب مع البناء المطلوب، الذي يضم كافة الاعتبارات اللازمة لإقامة هذا البناء من حيث الشكل والحجم والمساحة وعدد الأدوار ،وتوزيع الغرف علي الأدوار ،الفتحات والمداخل والمساقط وما إليها ،بحيث لا تواجه عملية تنفيذه عقبة لم تكن في الحسبان. وهذا معناه أن التصميم عبارة عن خطة يتصورها الشخص وتنطوي علي عناصر وإجراءات لازمة للوصول إلى الهدف من هذا التصميم ،وتأخذ في اعتبارها كافة الاحتمالات التي قد تحول دون الوصول إلي هذا الهدف عند التنفيذ .ولا يخرج تصميم البحث عن هذا المضمون ،بحيث نجد أن الباحث يضطر إلى وضع تصميم منهجي يفيده في تحقيق هدف بحثه، ومن هنا كان التصميم وسيلة للوصول إلي أهداف البحوث من إجابة علي تساؤلات، أو تحقق من فرض ،أوحل لمشكلة. ولذلك كان لابد قبل التفكير في وضع تصميم للبحث ،أن نحدد الهدف من البحث المراد وضع تصميم له ،وبناء علي ذلك نشرع في وضع التصميم المنهجي ،الذي يحدد بالتالي كافة الإجراءات والاعتبارات والاحتمالات اللازمة للوصول إلي هذا الهدف .

البحث عملية دائرية

١- يبدأ البحث بسؤال ليس له إجابة في زمن الباحث
٢- يحدد البحث هدفه في قضية واضحة تعبر عن مشكلة
٣- يقسم البحث المشكلة إلى مشكلات فرعية تبحث كل منها عن موجة من خلال فرض مناسب
٤- يضع البحث حلول مبدئية للمشكلة من خلال فروض قياسية توجه البحث نحو الوقائع
٥- يبحث البحث عن الوقائع مسترشداً بالفروض ومنها نحو المشكلة تجمع الوقائع وتنظم
٦- يفسر البحث معنى الوقائع التي تؤدي إلى حل المشكلة وهكذا يثبت أو يرفض الفروض ويقدم إجابة السؤال الذى يبدأ البحث

٢- استراتيجية البحث: research strategy

تزايد استخدام مصطلح استراتيجية البحث بين المشتغلين بالبحث الاجتماعي أخيرا.، لأنهم قد وجدوا من المفيد للباحث أن يشبه البحث العلمي بمعركة ضد المجهول، ولأنه من شأن هذا التشبيه أن يوحي بسلسلة من التشبيهات الجزئية التي تعود علي البحث بفائدة أكيدة. من ذلك مثلا حشد جميع مصادر المعلومات التي نمس جبهة البحث، وإعداد الأدوات اللازمة، والتركيز علي قطاع محدود في الميدان، والالتفاف حول مناطق المقاومة بدلا من الإصرار علي مواجهتها من الزاوية العسيرة، وعندما يفلح الباحث في أن يفتح ثغرة في جبهة المقاومة يحسن به أن يسرع بالتقدم إلي رقعة فسيحة مؤثرا التوسع في البداية علي أن يأتي التعمق في مرحلة تاليه، وهذا صحيح في البحوث البحتة والتطبيقية علي السواء.

ومن خلال الإطار العام لهذه التشبيهات، يميز البعض بين نوعين من الخطط يضطر الباحث عادة إلي استخدامها في البحث الواحد كل في الموضوع الملائم. فهناك الخطط الاستراتيجية بعيدة المدى ،وهناك الخطط التكتيكية قصيرة المدى، الأولي تعين المراحل الكبرى للبحث ،والمعالم الرئيسية لنوع المعلومات المطلوبة في كل مرحلة، ونوع الأدوات اللازمة لجمع هذه المعلومات ونوع التحليلات الكمية أو الكيفية التي سوف تجري عليها هذه الخطط الاستراتيجية يشترط فيها أن تحدد منذ البداية تجديدا واضحا، مع قسط المرونة يسمح باستحداث قرارات وتوجيهات تمس التفاصيل دون الجوهر. أما الخطط التكتيكية فهي تنشأ لمواجهة مواقف لم تكن متوقعة والتصرف فيها بما يناسبها ولا يتعارض مع جوهر الخطة الاستراتيجية. والأصل في الخطط التكتيكية المرونة وحسن التصرف في اللحظة الحرجة علي ضوء خبرات الباحث السابقة والقدرة على ابتكار الحلول غير المسبوقة.

كما أننا لو أمعنا النظر فيما توافر تحت يدنا من كتابات في هذا الميدان ، نلاحظ أن هذه التشبهات التي لجأ اليها المشتغلون في البحث الاجتماعي قد أعانتهم في التفرقة الحاسمة بين ما يعرف بالمنهج أو الاستراتيجية العامة ، وبيم ما يعرف بالطريقة أو تكتيك البحث من ناحية وأدواته من ناحية أخري ، تجنب بالتالي الوقوع في خطأ الجمع بينهما في مضمنون واحد دون تفرقة واضحة ، كما جرت عليه العادة في بعض مؤلفات البحث الاجتماعي .

ولن نعيد هنا هذا الحوار الذى يدور بين المشتغلين بالبحث الاجتماعي حول هذه المفهومات رغم أهميتها في تصميم البحث الاجتماعي ، فلقد أغنتنا الكتابات العربية في هذا الصدد عن الدخول في كثير من التفاصيل التي يعد الإلمام بها مطلوبا ضروريا في تصميم البحث الاجتماعي . وإنما سنكتفي هنا بتأكيد بعض الحقائق التي انتهت إليها تلك المناقشات .

١- ان المنهج يعتبر بمثابة الاستراتيجية العامة أو الخطة العامة التي يرسمها الباحث لكي يتمكن من حل مشكلة بحثه أو تحقيق هدفه أو هو الاستراتيجية التي تعتمد على مجموعة من الأسس والقواعد والخطوات التي يستفاد منها في تحقيق أهداف البحث والعمل العلمي.
٢- ان المنهج يمتاز بخواص ومميزات أهمها أنه يطبع البحث بطابعه ويؤثر في انقسامه إلى أنواع. والمنهج يطبع البحث بطابعه ويتلون بلونه ويحدد وصفه أو صفته على هذا الاساس فإذا كان البحث يتطلب استخدام قواعد القياس ، فإنه لا يجد مفراً من أن يستعين في هذا الصدد بالمنهج التجريبي ، الأمر الذى يكتسب معه هذا البحث بعد ذلك صفة التجريب ويقال عنه بحث تجريبي.

ولقد أمكن التميز في المنهج بين عدد من الأنواع في مقدمتها المنهج التجريبي والمنهج التاريخي. ويدرس المنهج التجريبي الظواهر الحاضرة أو الراهنة ويحاول التواصل إلى القوانين العامة أو العلاقات الثابتة بين الأشياء أو يعتمد في ذلك على الملاحظة والقياس والتجربة ويقوم على التعميم.

ويصوغ قوانينه في صورة رياضية. أما المنهج التاريخي فهو الذى يدرس ظواهر الماضي ويقوم البحث بالتنقيب عنها في وثائق التاريخ ، فهي ظواهر لا تقع مباشرة تحت الملاحظة ولا تظهر مطلقا عبر نمط واحد ، وإنما يقوم الباحث بجمع الوثائق حولها ويحاول التحقق منها ويعتمد على طريقة التحليل والتركيب العقلاني ، وذلك كله بهدف البحث عن العلاقات السببية بين الحوادث الماضية.

٣- تعتبر طريقة البحث بمثابة إحدى قواعد المنهج باعتباره مجموعة قواعد ، أو هي الوسيلة التي تنفذ بها المنهج كخطة عامة ، أو هي التكتيك الذى نطبق به المنهج باعتباره استراتيجية . فإذا كان المنهج التاريخي في دراسته لظواهر الماضي يحاول تحقيق هدفه من خلال تحليل الوثائق والسجلات المتوفرة عن الماضي حول هذه الظواهر ، فإن تحليل الوثائق والسجلات تعتبر بمثابة الطريقة أو التكتيك الذى يطبق به المنهج التاريخي استراتيجية .
٤- هناك في نطاق البحث الاجتماعي نواع متعددة ومتباينة من طرق البحث الاجتماعي منها : القياس الاجتماعي والمسح الاجتماعي ودراسة الحالة ، وتحليل الوثائق ، وتحليل المضمون ، والطريقة الاسقاطية ولكل واحد منها

استخداماتها ومتطلباته وخصائصها وعيوبها . يجب أن يكون الباحث مستوعبا للدروس التي تلقاها في هذا الصدد ؛ حتى يستطيع أن ينتقى منها ما يتناسب مع التصميم المنهجي الذى يتفق والموضوع الذى يختاره للبحث.

٥- تعتبر أداة البحث بمثابة الوسيلة التي يلجأ إليها للحصول على المعلومات والبيانات التي يتطلبها بحثه ، فقد يستعين الباحث في هذا الصدد بالملاحظة أو المقابلات الشخصية أو الاستبيان ، ولكن عليه في هذا الاستخدام أن يتذكر الدروس المستفيضة التي تلقاها حول طبيعية كل أداة ، ومتطلباتها ، واستخداماتها ، ومميزاتها ، وعيوبها وحول العوامل التي تتدخل في اختيار الأداة المناسبة لموضوع بحثه ، أو متطلبات تصميم أداة جمع البيانات ووضع البناء المناسب لها فهذا أمر له شروطه المنهجية سنتناوله بالتفصيل في فصل لاحق .

رابعاً : أهمية النظرية فى البحث الاجتماعى

أوضح تحليلنا السابق لخصائص البحث الاجتماعي حاجة البحث إلى التعبير عن مشكلته في مفهومات واضحة وإلى فروض يتلمس بها طريقه نحو أهدافه، وإلى نظرية يستعين بها في تفسير الوقائع التي يقوم بجمعها. ولما كانت المفهومات العلمية والفروض باعتبارها عناصر أساسية في تكوين النظرية العلمية، كانت محل عناية واهتمام كثير من الكتابات السابقة. والتي يعد الوقوف عليها مطلبا جوهريا لازماً لتعلم كيفية وضع التصميم المنهجي للبحث. وكذلك أسهمت هذه الكتابات في تحليل مفهوم النظرية وبيان دورها في تفسير الوقائع التي يصل إليها البحث ، فإن تناولنا لهذا المفهومات لن يتجاوز التأكيد إلى بعض الحقائق المتصلة بكل مفهوم منها ، والتركيز بخاصة على أهمية النظرية في البحث الاجتماعي ، طالما كان دور النظرية في البحث لا يتوقف عند حد مساعدته على تفسير الوقائع التي يقوم بجمعها على النحو الذى سنوضحه فيما يلى :

النظرية Theory :

تتفق الكتابات التي اهتمت بمعالجة موضوع النظرية سواء تلك التي تتناول نظرية علم الاجتماع أو التي تحلل مناهج البحث الاجتماعي أو غيرها مما اهتم بتوضيح المصطلحات والمفهومات ، فيما بينها في أنها قد ركزت على وصف مكونات النظرية وتوضيح شروطها وإبراز خصائصها والكشف عن وظائفها.

١- إذ تعتبر النظرية بمثابة نسق استنباطي يتكون من مجموعة قضايا يحتل بعضها مكانة المقدمات أو المسلمات وتحتل بعضها الثاني مكانة الفروض ويحتل بعضها الثالث مكانة النتائج العامة أو التعميمات. بحيث تكون الفروض مستنتجة منطقيا من المسلمات . وتعد النتائج العامة والتعميمات. بمثابة نتائج مستنبطة من ما يتقدمها من فروض. أو في قول آخر تعد النظرية بمثابة نسق يشتمل على مفهومات وقضايا وتعميمات وقوانين مستخلصة من نتائج البحث حول الموضوع المدروس أو من الملاحظات الواعية أو تمثل النظرية إطاراً يتمثل من حسابات صورية كالرموز والقواعد ، ومن تفسير جوهري يساغ في صورة قوانين ومقولات.

٢- وينبغي أن يتوفر مكونات النظرية المشار إليها سلفاً عدة شروط ، بحيث يجب أن تكون المفهومات محدودة بدقة ، وأن تتسق القضايا المكونة لها ببعض مع البعض الآخر، وأن تصاغ في شكل يشكل اشتقاق التعميمات بطريقة استنباطية ، وأن تكون هذه القضية خاضعة لتحقق الإمبيريقى أو الاختبارات في صور شواهد واقعية ، وأن نجد تأييداً لها في هذه الوقائع الامبيريقية .

٣- كما يجب أن تتسم مكونات النظرية بعدة خصائص . بحيث تصبح النظرية هي البناء الذى يجمع أشتات النتائج المبعثرة ويوحد بينها ، ويضم قضايا خصيبة مثمرة تستكشف الطريق نحو ملاحظات أبعد مدى وتعميمات تطور من مجال المعرفة الحالية. وتشتق هذه القضايا من الملاحظات والتعميمات ، كما تصدر عن احساس خفي خلاق يقفز وراء الأدلة والوقائع الملحوظة. وتتسم هذه القضايا المكونة للنظرية بانها ليست نهائية أو صياغة استاتيكية ثابتة ، وإنما هي

قابلة باستمرار للتغير والمراجعة. وترتبط قضايا النظرية بالوقائع الإمبيريقية وفي نفس الوقت ترتبط بمصطلحات أخرى قد تختلف عنها في بعض الجوانب والوظائف مثل المفاهيم والتطبيق والممارسة .

٤- وتقوم النظرية بعدة وظائف حيث أنها تسهم في مجال وصف الظواهر الاجتماعية باستخدام المفهومات والتعريفات ،كما تفيد في تصنيف هذه الظواهر وتحليلها وتفسيرها استنادا إلى الفروض والتعميمات ، كما يستفاد من قوانين النظرية في تحقيق أهداف التنبؤ ، الأمر الذى سنزيده إيضاحاً عند الحديث عن أهمية النظرية في البحث الاجتماعي.

النظرية والقانون :

ولكن يجب أن نذكر أن النظرية برغم أنها قد تجد ما يدعمها استنادا إلى شواهد كثيرة يمكن البرهنة عليها ، فلا يزال يعبر عنها في مصطلحات احتمالية أكثر من ربطها بالحقائق المبرهن عنها استنتاجاً والتي قد ثبتت صحتها في ظل ظروف معينة . وعندما يتم اختبار هذه الحقائق ويقبلها العلماء باعتبارها صحيحة وثابتة في ظل نفس الظروف ينظر إلى نظرية في هذه الحالة على أنها قانون اجتماعي.

والقانون الاجتماعي كما عبر عنه كارل بيرسون (K. Pearson) عبارة عن اختزال عقلي يحل محل الوصف المطلوب للتتابع بين انطباعاتنا الحية. وهكذا ، يعد القانون بالمعنى العملي أساساً ناتجا للعقل الانساني وليس له معنى بمعزل عن الانسان . فهو يدين بوجوده إلى القوة الخلاقة لعقل الانسان. والواقع أنه من الصعب صياغة القوانين الاجتماعية لان الحقائق يصعب قياسها. ومن الصعب كذلك قياس هذه الحقائق ليس لا نها فقد تفتقر إلى أدوات الدقة وإنما لأن الحقائق تتميز بالدينامية والتعقد.

ولكى نقيس الحقيقة ، يجب أن تكون هذه الحقيقة بسيطة ويجب النظر إلى هذه الحقيقة باعتبارها تظهر الصورة مرات كثيرة بنفس الصورة. ولكن الحقائق في العلوم السلوكية ليست بسيطة ولا يحتمل أن تكرر نفسها باستمرار بنفس النظام أو الصورة . كما تتميز الظواهر الاجتماعية أيضاً بأنها غير ثابتة ويصعب قياسها وأكثر من ذلك أن التنسيق والنظام في ترتيب الحقائق أمر يصعب تحقيقه مع أن الحقائق تعد أساسية للقياس.

الفروض والبحث الاجتماعي:

والملاحظ أن الشيء المشترك بين كثير من الكتابات التي عينت بإلقاء الضوء على الفروض، اهتمامها الواضح ببيان طبيعة الفرض العلمي ومصادره وأهميته أو قيمته:

١-عندما يجد الباحث أنه من الواجب عليه أن يختار من بين الخضم الهائل من الأحداث التي يلاحظها الحقائق المناسبة والجوهرية لتفسير المشكاة المدروسة بكفاءة بمعنى ضرورة أن يوضح العلاقات الجوهرية التي توجد بين العناصر المتباينة في إطار هذا الكل المعقد.

فإنه قد يستعين في هذا البحث عن الحقائق ذات الدلالة بالخبرة السابقة ،سواء كانت خبرته الخاصة أو خبرة الآخرين ؛حتي يستطيع أن يبرز تلك العوامل التي يشهد غير انها قد فسرت مواقف مماثلة في الماضي .على أنه ليس من الضروري أن تكون هذه الخبرة لها صلة بميدان العلم فقد تكون هذه الخبرة مسجلة في إطار التراث- أو الكتابات الفلسفية أو في الفنون وغيرها من الميادين التخصصية، طالما تستطيع هذه الميادين أن تمدنا بشيء من الاستبصار عن الموقف موضوع الملاحظة. وعلى اساس من هذه الملاحظات قد تبني الفروض لتوضيح العلاقات بين الحقائق. كما قد تبني الفروض علي أساس الاحتمال والتخمينات والحدس العميق، وعندما يشير الحدس إلي الفذ إلي تفسير ممكن ومحتمل لفكرة حيوية ومحورية يمكن أن تصبح أساسا لبحث مثمر ،فإنها تعد في هذه الحالة بمثابة فرضا تفسيريا أو إجرائيا.

٢- وبدون الفروض الإجرائية قد يجد الباحث أنه من الصعب عليه للغاية أو بالكاد والمجهد أو ما يضيع الوقت، أن يميز بين مجموعة العوامل المتفاعلة أمامه، ذلك لأن الفرض هو الذى يوجهه في عملية اختيار الحقائق المناسبة واللازمة

لتفسير المشكلة التي يتناولها . كما أن الفرض ينقذه أيضا من أن يضل طريقة في خضم الحقائق البعيدة عن الموضوع أو عديمة الصلة به. ويمكن إيجاز قيمة الفروض الإجرائية وأهميتها فينا يلى:

يحدد الفرض محور اهتمام البحث ،كما يساعد في تحديد الطرق أو الوجهة التي يسير فيها ،وفي رسم حدود الميدان المخصص للبحث عن طريق تميز الحقائق المناسبة التي يركز عليها عن تلك غلتي يمكن أن يستغنى عنها إلى وقت محدد على الأقل وهكذا يحول استخدام الفرض دون أن يسير البحث في غموض أولا يجعله يجمع البيانات غير المثمرة أو التي قد يثبت فيها بعد عدم مناسبتها للمشكلة موضوع البحث.

ولا يجب أن يبدأ الباحث في البرهنة علي صحة فروض. وإنما عليه أن يختبر ويقبل كلا من النتائج الإيجابية والسلبية بالروح العلمية الحقة في البحث ،وذلك لأنه يمكن أن تكون للنتائج السلبية نفس أهمية النتائج الإيجابية.

كما لا يحب أن يدافع عن الفروض حتي ولو أيدت البيانات التي تم تجمعها حديثا نتيجة تماثل بالضبط عكس النتيجة التي يعتقد الباحث اصلا أن بياناته قد تكون علي صلة بها.

ويعتبر الفرض الشهير عموما بسيطا ،ولكن البساطة هنا لا تعنى الوضوح ،فالبساطة كمطلب ضروري أو جوهري في التفسير يتطلب استبصار الباحث بالمشكلة بقدر ما يكون فرضه بسيطا.

٣- والسؤال الذي كثيرا ما يثار في قاعات الدراسة ،يتعلق بالفروق بين النظرية والفرض-وبين النظرية والقانون .وهذه المفاهيم نادرا ما يعبر عنها بوضوح حتي في الكتابات العلمية ،ذلك لأن الخطوط الفاصلة ليست واضحة دائما.

وكما لاحظنا فعلا- يعتبر الفرض مضاغا علي نحو عام قبل التحقق من الوقائع، وهو يعالج نطاقا ضيقا من الوقائع ،ويعد افتراضا أوليا يؤخذ به من أجل تفسير الحقائق التي تم ملاحظتها فقط أثناء مرحلة الاستطلاع. أما النظرية من ناحية أخرى فتعتبر بمثلبة تعميم تم التوصل إليه بعد تحقيق، وهي تعالج مجموعة من الحقائق أوسع .وغالبا ما يقال أن النظرية عبارة عن فرض تم اختباره وبلورته. والوقائع المتجمعة يترجمها الباحث إلي أبنية فرضية ومفاهيم موجوده أو مبتكرة حديثا .ثم تتجمع المفاهيم بدورها في نظرية افتراضية والتي تخضع بعد ذلك للاختبار والتحقيق لتحديد سلامتها وصدقها – إذا ثبت بعد ذلك للاختبار والتحقيق لتحديد سلامتها وصدقها- وإذا ثبت بعد هذه العمليات الدقيقة أن النظرية سليمة وصادقة فإنها توصف باعتباره نظرية علمية ،وقد تقبل علي أنها تناسب النمط الموجود من الحقائق العلمية ذات الصلة بالقضية المدروسة. وعندما يمكن اختزال سلسلة من الحقائق العلمية أو اختصارها في قضية دقيقة قد يعبر عنها في صيغة رياضية في هذه الحالة ينظر إليها باعتبارها قانونا. وليس هناك مصطلح على درجة علاية من الاحتمال مثل القانون العلمي.

المفاهيم العلمية scientific concepts

تسير عملية تنظيم البيانات واستخلاص التعميمات منها جنبا إلى جنب مع صياغة المفهومات ،وكما يدرك الباحث العلاقات بين هذه البيانات، أو يكون قادرا علي عزل مجموعة محددة من الأحداث أو أنماط السلك ويصف خصائصها فإنه يبدأ في تلخيصها في معني معين يكون ممثلا لمجموعة الأحداث أو الأنماط أو السمات في جملتها. وكل مجموعة جديدة من البيانات عزلت أو فصلت عن المجموعات الأخرى علي أساس خصائص محددة ، تعتبر بمثابة معطي أو اسما أو تسميه أو باختصار – مفهوم concept .وهذا المفهوم يعد في الواقع تحديدا مختصرا لمجموعة من الحقائق ، فالطغيان والعدوان والإحباط والاتجاه والشخص، والقلق تعبر أمثلة علي هذه المفهومات، فيها تم اختصار عدد من الأحداث أو الظواهر والأحداث تحت عنوان عام واحد، وذلك بهدف تقديم ما دار في فكرنا حول هذه الظواهر والأحداث والعمليات في صورة مبسطة.

وقد نلاحظ أنه ليس هناك مفهوم يتسهل تحديده، وذلك بسبب تباينها وتعقدها. وهناك مفهومات مثل الإحباط والعدوان أو الدافعية لا تزال أكثر صعوبة في تحديدها ،وذلك لأنها تعتبر بمثابة أبنية فرضية constructs، بمعنى أنها تمثل استنتاجات علي مستوي عال من التجريد من أحداث ملموسة ولا يمكن توصيل معناها بسهولة من خلال الإشارة إلي موضوعات معينة أو أفراد أو أحداث . وتعرف هذه العلمية ذات المستوي العالي من التجريد التي تفرض علي البيانات الخام باسم عملية صياغة المفاهيم conceptualization. وتعبر المفاهيم العلمية غالبا وبخاصة في ميدان علم الاجتماع ،بمثابة مصطلحات شائعة الاستخدام.

ولقد استخدم علم الاجتماع مصطلحات شائعة في لغة الحياة اليومية واعتبرها بمثابة مفهوماته الأساسية، واستعان بها في التعبير عن جوهر تفكيره العلمي، وتعتبر مفاهيم مثل الشخصية، والثقافة، والمجتمع المحلي، والمجتمع ،والجامعة والاتجاه ، والقيم مجرد أمثلة قليلة علي المفهومات السوسيولوجية والتي تختلف معاينها لدرجة كبيرة عندما يستخدمها عالم الاجتماع عن استخدام رجل الشارع لها.

وتتميز الأبنية الفرضية (مثل الإحباط أو العدوان) عن المفهومات البسيطة بأنها معقده، ولذلك فإن هذه الأبنية الفرضية لا تحتاج فقط إلي أن تكون محددة بعناية وإنما تحتاج أيضا إلي ترجمتها إلي أحداث يمكن ملاحظتها وعمليات أو معان معينة، سيترتب عليها بيانات يمكن أن تكون مقبولة كمؤشرات علي هذا البناء الفرضي مثل العدوان . ويعتبر ستيوارت دود s.c.Dodd هو المسئول الرئيسي عن محاولات إدخال التعريفات الإجرائية للأبنية الفرضية إلي علم الاجتماع operational Definitions بمعني استخدام سلسلة من الكلمات ترسم بوضوح أفعال يمكن ملاحظتها أو أدائها أو عمليات يمكن اختبارها والتحقق منها بمعرفة الآخرين. ويوافق المدافعون عن استخدام وتنمية التعريفات الإجرائية في علم الاجتماع علي أنه الممكن بناء مقايس خاصة أو اختبارات والتي قد تحدد موضوعيا وبطريقة قابلة للتحقق من السلوك الفعلي والاتجاهات.

تمارس النظرية تأثيرا ملزما علي البحث بأن تحدد أو تطرح المشكلات التي تحتاج لبحث ،وتبرز الموضوعات الهامة عن غيرها وتقود البحث نحو العلاقات المؤكدة. وتقود نتائج هذه البحوث بدورها إلى اختبار النظريات واقتراح مشكلات جديدة تدعو إلي صياغة مشروعات نظرية جديدة . وهكذا ، تتشابك النظرية والبحث والحقيقة الإمبيريقية في نسيج من العمل توجه فيه النظرية .ويتمثل ثمار التفاعل هذا في أنه يعد بمثابة الوسيلة التي من خلالها يتطور أو ينمو العلم الإمبيريقي.

وهكذا يسير استخدام م وتنمية النظرية في اتجاهين اثنين، الأول يتمثل في إقامة العلاقات بين القضايا النظرية أو المفهومات ، ويسعي هذا الخط في العمل نحو بناء أنساق التفسير التي تتميز بالحدة المنطقية وتسمح باشتقاق النتائج الاستقرائية ويتمثل الاتجاه الثاني في ربط النظرية بالبحث ،ونحن نهتم هنا بالاتجاه الثاني.

وبرغم أن التفاعل الوثيق بين النظرية والملاحظة الإمبيريقية تتم دائما في نطاق البحث ،فإن النظرية قد تؤثر بطرق متباينة في الخطوات المتتابعة للبحث، فقد يحدد الباحث مشكلة البحث التي يتناولها في ضوء نظرية موجودة أو يحددها في ضوء ملاحظات مشتركة عما يحدث في حياة الناس الفعلية .وأكثر من ذلك ، قد يجري البحث لاختبار نظرية قائمة سلفا . وقد يتم ذلك البحث بهدف التوصل إلي إجابة على مشكلة ملموسة . قد يسعى المرء إلى جعل نتائج بحثه ذات مغزي من خلال تفسيرها في ضوء بناء نظري قائم، قد يستخدم الباحث نتائج البحث في صياغة بعض القضايا النظرية الجديدة والواقع أن هناك مبادئ عامة عديدة يجدر الإشارة إليها هذا لفهم أثر النظرية في البحث أولا، يمكن أني يكون الإلمام بالنظرية السائدة في ميدان البحث مفيدا لدرجة كبيرة في اختيار أحد المتغيرات، وفي تحديد مجموعة البيانات التي يرغب الباحث في جمعها . ولذلك ، يجب أن يكون الباحث على دراية بالنظرية وثيقة الصلة ببحثه .

أولا : يمكن أن يكون الإلمام بالنظرية السائدة في ميدان البحث مفيدا لدرجة كبيرة في اختيار أحد المتغيرات، وفي تحديد مجموعة البيانات التي يرغب الباحث في جمعها . ولذلك ، يجب أن يكون الباحث على دراية بالنظرية وثيقة الصلة ببحثه .

وثانيا: على الباحث أن يجعل مفهوماته واضحة بقدر الإمكان بدرجة يستطيع بها أن يتعرف عاي البيانات الإمبيريقية بطريقة ثابتة ويميز بين البيانات التي يغطيها هذا المفهوم عن غيرها.

وثالثا: يجب أن ينظر الباحث إلي النظريات سواء أخذت عن التراث الموجود أو قام هو بتنميتها بنفسه باعتبارها موجهات افتراضية، وليس باعتبارها معرفة راسخة.

وبهذه الطريقة يكون الباحث متحفزا لادرك الوقائع التي تعارض النظرية ، وهكذا يكون علي أهبة الاستعداد لمراجعة النظرية لكي تتناسب مع العلم الإمبيريقي.

ورابعا: يجب على الباحث أن يعير كل اهتمامه لكل الملاحظات المحيرة التي تنشأ في بحثه، ويفكر فيها وقتا طويلا بدلا من أن يستبعدها من نطاق اهتمامه؛ لأن مثل هذه الملاحظات غير العادية تتيح فرضا ثرية لإثارة الخيال وتنمية منظورات جديدة أكثر من أي شيء آخر، فهي تعتبر مصدرا لمداخل نظرية جديدة. وإيجازا لما سبق، علي الباحث في إجرائه أن يستعين بالنظرية لتنظيم وتوجيه خطوط بحثه.، وأن يعتمد على ملاحظاته الإمبيريقية في اختيار وتنقيح قضاياه النظرية.

أسئلة المحاضرة الأولى

س١/ ((للبحث عدة خصائص منفصلة أو متميزة ، تظهر تباعا بحيث قد تبدو في نظر الباحث علي أنها عدد من الخطوات))

اشرح / اشرحى العبارة السابقة في ضوء توضيحك لخصائص عملية البحث الاجتماعي

س٢/تحدثي بالتفصيل عن المفهوم الحديث للبحث الاجتماعي